

عبر نفس الطريق ! .
حياتنا أنهار
تمضى لتصب في بحر ،
هو الموت .
إلى هناك يذهب السادة ،
توا لكى يفتنوا
ويتلاشوا .
هناك الأنهار الفيضة ،
والأنهار الجارية ،
والأنهار الضحلة ،
لحظة وصولها تصبح متساوية ،
كالذين يعيشون من سواعدهم
يتساوون مع الأغنياء .



عاشت مملكة غرناطة زهاء قرنين من الزمان بعد عصر أبى البقاء ، وبها لاذت الحضارة الإسلامية فى شبه الجزيرة ، لكن الجماهير فقدت حيويتها كجاعة مؤثرة ، وإن تميزت ببطولات فردية مناضلة ، تحاول بعزم أن تؤخر النهاية القاصمة ، وفقدت القيادة الموجهة الحازمة ، فكان الأمراء والحكام دون مستوى الأحداث تفكيراً وشجاعة وخلقاً وعناداً فى النضال ، يستخدمون العدو لتحطيم بعضهم البعض ، ويشترون بخيانة أمتهم عروشاً صغيرة ذليلة ، وعبر هذه الفوضى الغامرة كان من الطبيعى أن يكون هناك من يأسى لحال الإسلام فى الأندلس ، يندب حاله وينعى أيامه ، لكن لم يصلنا من ذلك القليل ، أو على التحديد لم تصلنا إلى مرثية راحدة كانت مجهولة تماماً ، وسوف ندرسها فى الفصل التالى .